فكر التكفير وتكفير الفكر
في ميزان القرآن الكريم
دراسة موضوعية

إعداد الأستاذ الدكتور

محمد عبد الرحيم جمعة سليمان

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين

جامعة بروكسل غرب إفريقيا، بروسكل، السويد

فكر التكفير وتكفير الفكر في ميزان القرآن الكريم – دراسة موضوعية

محمد عبد الرحيم جمعة سليمان
قسم التفسير وعلوم القرن، كلية أصول الدين، جامعة بروكسل غرب إفريقيا، بروسكل، السويد.
البريد الالكتروني: alduktur.mohammed.goma@gmail.com

الملخص :
من المعلوم أن وحدة الأمة هي نواة وجودها، ولب كيانها، وأن المحافظة على هذه الوحدة هو غاية الغايات، وهذه الوحدة هي التي تكسب الأمة هويتها، وتمنحها شخصيتها المتميزة المستقلة بين الأمم فالأمة بدون وحدة كالسراب... ومن هنا نقول إن أسوأ الحروب التي تتعرض لها الأمم على الإطلاق تلك التي تستهدف وحدتها.
ومن المعلوم أيضا أن أمتنا الإسلامية تتعرض منذ نشأتها وحتى اليوم إلى محاولات حثيثة من أعداءها لضرب هذه الوحدة بهدف تقويضها، والإجهاز عليها، وتتمثل الحرب على وحدة الأمة في استغلال حالة الاختلاف بين المذاهب والجماعات الإسلامية –وهو بلا شك اختلاف مبني على التنوع – بإشاعة الفكر التكفيري بينها، فكما تسلل عبد الله بن سبأ وأذنابه مستغلا ذلك الاخلاف المحمود بين الصحابة في اشعال الفتنة بينهم يصر أحفاده من اليهود والنصارى على السير على نهجه بهدف ضرب الأمة في عمقها عن طريق تجديد فتنة التكفير بين أبنائها وكان من نتيجة ذلك ما نراه من حروب بين أبناء الأمة حتى باتت أمتنا مثخنة بالجراح.
الكلمات المفتاحية: حقيقة التكفير ، نشأة التكفير، العلاقة بين الكفر والتكفير .

The thought of atonement and the thought of atonement in the balance of the Holy Quran – an objective study

Mohamed Abdel Rahim Juma Suleiman
Department of Interpretation and Sciences of the Century, Faculty of Theology, University of Brussels West Africa, Brussel, Sweden.
Email: alduktur.mohammed.goma@gmail.com

Abstarct :

It is known that the unity of the nation is the nucleus of its existence, the core of its being, and that preserving this unity is the ultimate goal, and this unity is what gives the nation its identity, and gives it its distinct, independent personality among nations. Nations have absolutely those that aim for their unity.

It is also known that our Islamic nation, since its inception until today, has been subjected to vigorous attempts by its enemies to strike at this unity with the aim of undermining it and finishing it off. Between them, just as Abdullah bin Saba and his henchmen infiltrated, taking advantage of that praiseworthy disagreement among the Companions to ignite sedition among them, his descendants among the Jews and Christians insist on following his approach with the aim of striking the nation in its depth by renewing the takfir sedition among its sons, and the result of that was what we see of wars between the sons of The nation until our nation became thick with wounds.

Keywords: the reality of takfir, the origin of takfir, the relationship between takfir and takfir.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. هو البحر المحيط الزاخر بكل النفائس والمعجزات، تنزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والشفاء والرحمة والبيان، ولا يخفى على أحد ما تتعرض له أمتنا الإسلامية من حروب عاتية في كافة المناحي حتى باتت هذه الحروب تهدد الأمة في كيانها ووجودها. ومن المعروف أن وحدة الأمة هي نواتها وجودها ولب كيانها وأن المحافظة على هذه الوحدة هو غاية الغايات.

فهذه الوحدة هي التي تكسب هوية الأمة بقائها وتمنحها كيانها وشخصيتها المتميزة المستقلة بين الأمم فالأمة بدون وحدة مثل السراب ومن هنا كانت أسوأ الحروب التي تتعرض لها الأمم على الإطلاق تلك التي تستهدف وحدتها. ومن المعلوم أن أمتنا الإسلامية تتعرض منذ نشأتها وحتى اليوم إلى محاولات حثيثة من أعداءها لضرب هذه الوحدة بهدف تقويضها والإجهاز عليها ومحوها وتتمثل الحرب على وحدة الأمة فيما يلي:

أولا: استغلال حالة الاختلاف بين المذاهب والجماعات الإسلامية بإشاعة الفكر التكفيري بينها، فكما تسلل عبد الله بن سبأ وأذنابه في الماضي إلى وحدة الأمة من خلال هذا الاختلاف المحمود –المبني على التنوع – بين الصحابة وتحويله إلى شقاق وعداء وجعله نارا تأكل هذه الوحدة.

ثانيا: استغلال أعداء اليوم من اليهود والنصارى والملحدين والعلمانيين ومن سار خلفهم من المنافقين هذا الخلاف الظاهري في اختلاق الفتن والصراعات وإيقاظ الفرقة بين أبناء الأمة. مما كان له أكبر الأثر في تحويل الأمة إلى كيانات متناحرة متنافرة.

ثالثا: إحياء سياسة الإقصاء التي كانت أهم سمات الجاهلية وإذكاء الشعوبية والعنصرية والنعرات القبلية والطائفية البغيضة.

ثالثا العمل من خلال الفكر التكفيري على شرذمة الأمة وتقسيمها إلى كيانات صغيرة هزيلة ضعيفة وتحوليها إلى حالة أندلسية جديدة استعدادا للقضاء عليها قضاء مبرما.

رابعا: الهجوم الإعلامي المقصود والمتكرر على القرآن العظيم الذي يمثل لب هذا الدين ودستوره.

خامسا: استغلال هذا التطاحن بين مكونات الأمة في زرع المفاهيم الخاطئة وعلى رأسها الربط بين تأخر الأمة والتمسك بالدين وأنه لا سبيل لتقدمها إلا بتخليها عن القرآن ومنهجه.

ومن هنا وجب على الجميع التصدي لظاهرة التكفير تلك الظاهرة الغريبة والدخيلة على الأمة ومنهجها وتعريتها وإثبات خطورتها وأثرها على مستقبل الأمة ويأتي على رأس هؤلاء العلماء الربانيين والباحثين والمثقفين وأصحاب الفكر كي يذودوا عن دينهم وهويتهم بالعلم النافع والدليل الساطع.

ومساهمة مني أقدم بحثي هذا وهو بعنوان:" فكر التكفير وتكفير الفكر في ميزان القرآن الكريم " وذلك بهدف تحذير الأمة من هذا المنزلق الخطير ودق ناقوس الخطر الذي يحدق بالأمة من انتشار هذه الظاهرة المشينة. وكشف الألاعيب الخسيسة التي يدبرها ويقودها أعداء الأمة على اختلاف توجهاتهم والتي تعمل على زعزعة استقرار الأمة وتهديد وحدتها. أيضا أبين أصالة

المنهج القرآني في تحذير الأمة من هذا المرض العضال المتمثل في الإقصاء والتكفير الذي هو السبب الرئيس في الفشل وذهاب قوة الأمة وضياع هيبتها.

ولقد وقع الاختيار على هذا الموضوع بعد البحث في القرآن الكريم، فوجدت آيات كثيرة تغطي هذا الموضوع من كافة جوانبه قد تزيد على المائة آية. هذا بالإضافة إلى آيات متممة ومكملة وتابعة للموضوع فإن وفقت في هذا الموضوع فبتوفيق من الله تعالى، وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

١- تعلق موضوع البحث بالقرآن الكريم أشرف وأجل كتاب على وجه الأرض.

٢- كمال القرآن العظيم وشموليته في تناول كافة الموضوعات القديمة والمعاصرة.

٣- أنه يمثل جانبًا تطبيقيًّا للون هام من ألوان التفسير الموضوعي.

٤- أنه يتعلق بموضوع الاختلاف المبني على التنوع الذي هو سمة أصيلة من سمات الأمة ومبعث فخرها وعنوان حيويتها وتجددها وثرائها

٥- بيان أصالة المنهج القرآني في تحذير الأمة من الافتراق.

٦- بيان أثر فكر التكفير على الأمة.

المشكلة البحثية:

تكمن المشكلة البحثية لهذا الموضوع في وجود دراسة علمية واضحة المعالم محددة الأطر توضح بالدليل القاطع والبرهان الساطع كيف انفرد القرآن الكريم في رصد وبيان نظرية التكفير وأهم الأسس الفكرية والعقائدية التي تقوم عليها وكيفية التصدي لها ومحاربتها والقضاء عليها وصيانة الأمة والمحافظة عليها من المؤامرات والدسائس التي تحاك لها ليل نهار.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى مجموعة من الأهداف من أهمها:

١- ابتغاء مرضات الله، وهو أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.

٢- عرض موضوع التكفير عرضًا متكاملًا يغطيه من كافة جوانبه.

٣- بيان التأصيل القرآني لنظرية التكفير وبيان أثرها على هوية الأمة ووحدتها وكيف تصدى لها وحاربها وفند الأسس التي قامت عليها.

٤- بيان دسائس ومؤامرات أعداء الأمة في استغلال مسألة التكفير لزعزعة استقرار الأمة.

٥- بيان أن نظرية التكفير ولدت من رحم الكفر.

٦- الدفاع عن وحدة الأمة ومنهجها من هؤلاء مرتزقة العلم وأدعياء الثقافة الذين يتهمون الدين بالرجعية من جهة ويشجعون التكفير والتطرف من جهة أخرى.

٨- بيان كيف حذر القرآن الكريم من الجهل الذي هو أصل التكفير.

الجهود السابقة:

بعد الدراسة والتحري تبين لي أن هذا الموضوع قد تناوله العديد من الباحثين من مختلف التخصصات سواء كانت تخصصات شرعية تخص حكم التكفير وأسبابه وأثاره أو تخصصات نفسية واجتماعية أو تخصصات أمنية أما دراستي فتخص تناول المنهج القرآني لهذا الموضوع خاصة وأنه من الموضوعات القديمة التي تتجدد في كل عصر ومصر والتي لم يتطرق إليها الباحثون في التفسير وعلوم القرآن من التصنيف، كما لم أعثر على رسالة علمية محكمة تناولت هذا الموضوع دراسة موضوعية محددة ومحكمة، وأن كل ما كُتب في هذا الموضوع ما هي إلا مقالات ومواضيع متناثرة لا تشكِّل بحثًا متكاملًا.

منهج البحث:

اعتمدت في دراستي على المنهج الاستنباطي وما يتبعه من عرض وتحليل وتقرير واستنباط، وذلك من خلال ما يلي:

١- جمع الآيات القرآنية التي اشتمل عليها البحث وكتابتها بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها.

٢- توزيع الآيات التي تم جمعها في فصول البحث ومباحثه ومطالبه ما أمكن.

٣- عرض الآية ثم عرض تفسيرها من مصدر واحد أو عدة مصادر إذا لزم الأمر وكان ذلك في خدمة الموضوع، ثم بعد ذلك التحليل واستنباط النتائج من خلال التعليق.

٤- الاكتفاء بقول المفسر وعدم التدخل في حالة وضوح المعنى المقصود من البحث.

٥- الاعتماد الكامل على كتب التفسير القديمة والحديثة.

٦- الاستدلال بالأحاديث الشريفة ومحاولة تخريجها ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن.

٧- عرض آراء وأقوال العلماء المتعلقة بموضوع البحث من مصادرها الأصلية مع الحرص على الأمانة العلمية.

خطة البحث: يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، والخاتمة، وبيان ذلك كما يلي:

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: حقيقة التكفير ونشأته.

المبحث الثاني: العلاقة بين الكفر والتكفير على ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: شبهات وردود.

المبحث الرابع: نشأة فكر التكفير وعلاقته بالفرق الإسلامية.

المبحث الخامس: أزمة تكفير الفكر في العصر الحديث وتداعيتها.

الخاتمة: وتشتمل على:

١- مدى تحقق الأهداف.

٢- النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل علي:

١.فهرس الآيات القرآنية.

٢.فهرس الأحاديث والآثار.

٣.المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.

يتضمن هذا التمهيد عدة مصطلحات رئيسة تتمثل فيما يلي:

أولا: الفكر.

ثانيا: التكفير.

ثالثا: الانحراف.

رابعا: الفطرة.

خامسا: الإقصاء

أولا: الفكر: الفكر في اللغة هو إعمال العقل في أمر ما للوصول إلى معرفة المجهول. والفكرة: هي الصورة الذهنية لأمر ما أو هي الشيء الجديد المستخلص من الفكر في أمر ما وحينما يقال: فَكَرَ في الأمر ِ فَكْراً: أعمل العقل فيه ورتَّب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول. (أفْكَرَ) في الأمر: فكر فيه. فهو مفكر. (فَكَّرَ) في الأمر: مبالغة في فكر، وهو أشيع في الاستعمال من فكر. وفي المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصّل إلى حلّها. فهو مفكّر. (١)

الفكر في الاصطلاح: للفكر تعاريف كثيرة لعل أقربها لموضوع بحثنا هذا التعريف:

أولا: هو عبارة عن مجموعة كبيرة من العمليات الذهنية والعقلية التي يقوم بها العقل البشري، والتي تجعله قادراً على تكوين تصورا وشكلاً مميزاً للعالم الذي

(1) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة صفحة ٦٩٨. بتصرّف.

يعيش فيه الإنسان، وبناءً على ذلك يصبح عالماً به، وقادراً على التعامل معه بفاعليةٍ أكبر، وذلك من أجل الوصول إلى الأهداف. [١]

ولعل التعريف الأول هو الأكثر تطابقا لما نقول وذلك لأنه يعبر عن:

١-عن عملية التفاعل بين ما بدأ يعتقده الإنسان وبين العقل حيث ينتج من الأفكار والنظريات التي تساهم في ترسيخ هذه العقيدة داخل هذا الشخص.

٢- أنه يعبر عن النظريات التي تتبناها أو تنتجها هذه العقيدة في إدارة شؤون النفس والحياة.

٣- أيضا يعبر عن العملية الذهنية المنتجة لهذه الأفكار التي تساهم في الدعوة إلى هذه العقيدة.

٤-أيضا يعبر عن المنتج الفكري الذي يحدد الوسائل المسؤولة عن نشر هذه العقيدة.

ثانيا التكفير:

التكفير في اللغة هو: مصدر كَفَّرَ وهو على وزن تفعيل والتكفير: من الكفر، وهو ضد الإيمان وجمع الكافر: كفار، وكَفَرَةَ، وكافرون، كُفَّار، وكِفار. والكفر: جحود النعمة، وهو ضد الشكر.[٢] وأيضا التكفير يعبر عن فعل تطوعيّ من تعذيب الذّات أو الانقطاع للتَّعبير عن النَّدم على خطيئة. كما تعارف عليه

(1) القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م عدد الأجزاء:١: (ص: ٦٠٥)

(2) التعريفات للجرجاني المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م عدد الأجزاء: (١ص:١٨٥) بتصرف.

على أنه عملية إخراج شخص ما أو جماعة ما من عقيدة ما يقال: حَكَمَ بِتَكْفيرِهِ: الحُكْمُ عَلَيْهِ بِالإِلْحادِ، أَيْ إِبْعادُهُ وَإِخْراجُهُ عَنْ مَبادِئ دِينِ الجَماعَةِ.
تكفير: (اسم) التكفير في الاصطلاح: هو إنزال أحكام الكفر على شخص ما أو جماعة ما بقصد إخراجهم من الدين ويستلزم ذلك إقرار من المعنيين بهذا الأمر الذين هم أهل التخصص والدراية لا أهل الهوى والغواية، وحينما نقول ذلك فإننا نصون المجتمع من الانزلاق لأنه إذا أصبح التكفير حق لكل إنسان أو فئة أو جماعة ضاع المجتمع وانهار وذلك من عدة وجوه:
الأول: أنه بإطلاق حق التكفير سيدخل المجتمع في آتون العداوة والبغضاء.
الثاني: سيعاني المجتمع من الاضطراب والتخبط.
الثالث: ضياع الحق بين الناس وذلك نتيجة غياب الضوابط الحاكمة المعول عليها للحكم على الغير بالإيمان أو الكفر.
الرابع: إن شيوع فكر التكفير يؤدي فسخ عرى الإخاء بين أفراد المجتمع وبالتالي يتحول المجتمع من مجتمع واحد متجانس متوافق مترابط إلى مجتمع متفكك تائه ليس له بوصلة يسير من خلالها.
وفكر التكفير هو عبارة عن: مجموعة الأفكار والتصورات والنظريات الناتجة عن الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية التي يحكم من خلالها أن شخص ما أو فرقة ما قد فارقت دين أو معتقد الجماعة الكبرى التي ينتمي إليها هذا الفرد أو تك الفرقة وبالتالي هو يستحق العقاب الذي حدده هذا المعتقد أو هذه الجماعة وغالبا ما يقوم صاحب هذا الفكر بإنزال العقوبة. ومن المعلوم أن هذا الأمر موجود في كل الأديان سواء كانت هذه الأديان سماوية أو أرضية وأيضا لدى الجماعات والقبائل وغيرها من التجمعات المنظمة التي يحكمها تنظيم محدد.
أما تكفير الفكر فهو إحدى عمليات الحجر الفكري على عقول الخلق وهي نتيجة مترتبة على فكر التكفير حيث تجرم كل الأفكار التي قد يظن أنها لا

تتوافق مع ما يميل إليه حاكم ما أو جماعة ما أو شخص ما بدون ضابط شرعي يرجع إليه.

ثالث الانحراف: والانحراف في اللغة من حرف وقد أرجع ابن فارس لفظ حرف ومشتقاته إلى ثلاثة أصول نذكر منها في هذا الموضع ما يوافق بحثنا وهو قوله الانحراف بمعنى العدول والميل عن الشيء بمعنى التغيير ومنه قوله تعالى: **(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (البقرة:٧٥) يقول الزجاج: والتحريف التغيير التبديل التحريف هو إمالة الشيء عن حقه. فهنا التحريف والتغيير والتبديل كلها تعبر عن إمالة الشيء عن مقصوده الحقيقي الذي جعل من أجله [١]

المعنى الاصطلاحي للانحراف: يقول الدكتور عمر التومي الشيباني بأنه كل فعل أو نشاط أو تصرف فيه خروج عن قيم ونظم وتقاليد المجتمع الأصيلة أو عن القيم الدينية أو الأخلاقية أو عن القواعد الدينية أو معايير السلوك السوي. [٢]

(1) مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦ ج٢ ص:٤٢-٤٣

(2) بحث دور المربي ورجل الإعلام، والمرشد الديني، في الوقاية من الجريمة والانحراف، مجموعة بحوث دور المواطن في الوقاية من الجريمة والانحراف (ص٢١) الناشر: المركز العربي للبحوث والدراسات الأمنية.

رابعا[1]: الفطرة: والفطرة في اللغة هي: الخِلْقةُ انظر[2]

الفِطرةُ اصطلاحًا: هي الطَّبع السَّويُّ، والجِبلَّة المُستقيمةُ التي خُلِقَ النَّاسُ عليها قال ابن حجر: قال أبو شامة: أصلُ الفِطرةِ الخِلقةُ المبتدَأة، ومنه: فاطِرُ السَّمواتِ والأرض؛ أي: المُبتدِئ خلقَهنَّ، وقوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطرَةِ) والمعنى: أنَّ كلَّ أحدٍ لو تُرك مِن وَقتِ ولادَتِه وما يؤدِّيه إليه نَظَرُه، لأدَّاه إلى الدِّينِ الحقِّ، وهو التَّوحيدُ، ويؤيِّده قوله تعالى قبلها: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم:٣٠) [3] وقيل: هي سُنَنُ الأنبياءِ قال ابن حجر: (فقال: هي السُّنةُ القَديمةُ التي اختارها الأنبياءُ، واتَّفَقَت عليها الشَّرائِعُ، وكأنَّها أمرٌ جِبليٌّ فُطروا عليها) [4]

---

(١) لسان العرب (٥/ ٥٦) المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ (ج:٥ ص: ٥٦)

(٢) المصدر السابق: ص١٢٦-١٢٧ بتصرف شديد

فتح الباري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء: ١٣(ج١٠ ص٣٣٩).

(2) لسان العرب (٥/ ٥٦) المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ (ج:٥ ص: ٥٦)

(3) المصدر السابق: ص١٢٦-١٢٧ بتصرف شديد

(4) فتح الباري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء: ١٣(ج١٠ ص٣٣٩)

خامسا الإقصاء:

الإقصاء في اللغة «إقصاء "هو اسم، وفعله أقصى. وأقصى الشيء يعني، أبعَده. أقصى يُقْصِي، أقْصِ، إقْصاءً، فهو مُقْصٍ، والمفعول مُقْصَى. (٢) وجاء في القرآن العظيم (فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا) (مريم:٢٢) وهو أسوأ الأمراض التي يمكن أن يعاني منها إنسان أو مجتمع ما.

ومن هنا كانت سياسة الإقصاء أو نفي الآخر جريمة عظمى تعني مصادرة حق هذا الآخر في التعبير عن نفسه أو فكره أو ثقافته أو معتقده. وصوره متعددة وقد ذكر الله تعالى هذه الصور مجتمعة في قوله تعالى: (إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ) (الأنفال:٣٠) ففي هذه الآية بيان لما كان من تدبير المشركين ومكرهم برسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومحاولة إقصاءه بأي شكل ففكروا في جميع طرق الإقصاء وهي:

١–يوثقوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويحبسوه حتى يموت.

٢– أن يقتلوه ويتخلصوا منه.

٣–يخرجوه من مكة منفيا مطرودا. وقد اجمعوا على قتله ولكن الله نجاهم منه.

المبحث الأول: حقيقة التكفير ونشأته.

خلق الله – تعالى – جميع العباد من أجل غاية عظمى وهي عبادته وحده لا شريك له والإذعان له وتسبيحه والإقرار بألوهيته وربوبيته والإذعان له بالطاعة كما خلقهم أيضا على صورة من التناغم والتكافل والتعاون وتبادل المنافع... الجميع يعيش في أمان والكل ميسر لما خلق له.

سنبحث في هذا الموضوع من خلال نقطتين:

الأولى: الغاية من خلق الإنسان.

الثانية الإقصاء صناعة الكفر.

أولا: الغاية من خلق الإنسان.

من المعلوم أن الإنسان جزء من هذا الخلق يجري عليه ما يجري على جميع الخلق... فقد خلقه الله لعبادته يقول تعالى: **(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** الذاريات (٥٦). فمن أجل هذه الغاية خلق الله آدم وحيدا في نشأته مستقلا بنوعه مكرما في ذاته وتقديرا له أمر الملائكة بالسجود له سجود تكريم فلبوا أمر ربهم ساجدين إلا إبليس استكبر ورفض السجود له مدعيا أنه خير منه يقول تعالى: **(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ)** (ص:٧١-٧٤) يقول صاحب الوسيط: والمراد بالبشر : آدم – عليه السلام – مأخوذ من مباشرة للأرض ، أو من كونه ظاهر البشرة ، أى الجلد والهيئة والمراد بالملائكة هنا ، ما يشمل إبليس ، بدليل أن الأمر بالسجود لآدم كان للجميع، وأنهم جميعاً امتثلوا لأمر الله – تعالى – ما عدا إبليس. [1] يقول تعالى: **(فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)** يقول صاحب الكشاف: ولفظ " كل " للإحاطة و " أجمعون " فأفادوا معا أنهم سجدوا عن آخرهم، ما بقى منهم ملك إلا سجد، وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد، غير متفرقين في أوقات. [2] إلا إبليس استكبر عن السجود لآدم فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين على حد زعمه

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى. (ج١٢ ص١٨١)

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء: ٤ (ج ٤ ص ١٠٥)

السقيم. والمتأمل في هذا الموقف الذي حدث من إبليس ورفضه السجود لآدم تكبرا وتجبرا ترتب عليه أمورا كثيرة تتمثل فيما يلي:

أولا: أن معصية إبليس كان سببها الكبر قد تولد عنه آفة عظيمة تتمثل في رفضه لآدم رفضا مطلقا وقد تولد عن الرفض التسلط عليه بهدف التخلص منه فكان سببا في خروجه من الجنة.

ثالثا: أنهما لما أهبطا إلى الأرض عمد إلى أولاده بغية إفسادهم فمازال بأحد أولاده يغويه حتى أقدم على قتل أخيه وبعد أن أقدم ابن آدم على قتل أخيه بدأ شؤم هذه المعصية الكبرى يخيم على الناس حتى عصرنا هذا وإلى أن تقوم الساعة والمتأمل في هذه المعصية يجد أنها بدأت بالأنانية وحب الذات وهما نبتتان شيطانيتان زرعهما الشيطان في قلب ابن آدم تولدا عن آفة الكبر والكبر كما عرفه نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله: (الكبر: بطر الحقِّ وغمط النَّاس) [1] وبطر لحق: رفضه والبعد عنه تَرفعا وتجبرا، فلا يَراه حقًّا، ولا يقبَله وغَمْطُ الناس: احتِقارُهم وازدِراؤُهم وهو أن يَحتقرَ النَّاسَ، فيَكُونَ ظالمًا لهُم، مُعتديًا عليهم ومن هنا نقول أن هذه الجريمة التي ارتكبها ابن آدم عبارة عن كبر تولد عنه إقصاء قصري وصل إلى ذروته بالقتل.

وهكذا حل شؤم هذه الجريمة على الأرض وما يزال فريق من الخلق ممن ساروا على نهج هذا القاتل يبتعدون رويدا رويد عن طاعة الله وتوحيده حتى تحولوا إلى الكفر والشرك بالله عز وجل.

ثانيا: الإقصاء صناعة الكفر.

(1) صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: ٥ برقم:٩١.

خلق الله النفس البشرية بنوازع متعددة منها ما هو خير ومنها ما هو شر ومنها ما سيطر عليها الخير ومنها ما انغمست في الشر وتلبست به حتى أصبحت جزء منه هذه هي النفس الكافرة المتخمة بكل نوازع الشر وأنواعه يقول تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ (البقرة:٧) يقول القرطبي قال أهل المعاني: وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف: بالختم والطبع والضيق والمرض والرين والموت والقساوة والانصراف والحمية والإنكار. [1] ويعتبر الكبر والحسد والحقد أمراض جعلت أساسية في الشخصية الكافرة فهي شخصية لا ترى إلى نفسها ومنهجها في الحياة وبالتالي هي ترى أن أي شخص لا ينتهج نهجها هو متمرد لابد من إقصائه عن المشهد بأي طريقة كما أنها ترى أن أي منهج غير منهجها هو عدو لدود تجب محاربته والسيطرة عليه وإذعانه بالقوة ولقد تحدث القرآن العظيم عن ذلك يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (إبراهيم:١٣) ففي هذه الآية تتجلى حقيقة أهل الكفر وطبيعتهم وموقفهم من أهل الإيمان أما حقيقتهم فهم متجبرون متكبرة متسلطون وأما موقفهم من أهل الإيمان فمعروف فهو أنانيون لا يرون إلا أنفسهم وأما طبيعتهم فتظهر في هذه العداوة المطلقة لأهل الإيمان فقد توعدوا رسلهم، بالإخراج من أرضهم إن أصروا على الإيمان. فهم لا يقبلون أن يكون لأهل الإيمان كيان مستقل عنهم يقول تعالى: (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) (الأعراف : ٨٨) ،

(1) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (ج١ ص ١٧٥) بتصرف

وقال على لسان قوم لوط : (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) (الأعراف:٨٢) ، وقال تعالى إخبارا عن مشركي قريش : (وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء : ٧٦) فكل هذه الصيغ الإقصائية تكشف عن الوجه الحقيقي للشخصية الكافرة وموقفها من أهل الإيمان.

المبحث الثاني: العلاقة بين الكفر والتكفير على ضوء القرآن الكريم.

بعد أن تحدثنا عن النفسية الكفرية وما نتج عنها من شخصية تحمل من الأمراض الخبيثة التي على رأسها الكبر والحسد وما ينتج عنهما من الإقصاء نتكلم عن النفسية التكفيرية وما ينتج عنها من شخصية إقصائية بغيضة فإذا كان الكفر يقصي الإيمان وأهله فإن التكفير ينفي ويقصي الأخوة في الدين بل إنه الحالق الأكبر لها. ففكر التكفير أحد روافد الكفر تسلل إلى النفوس الضعيفة من أهل الإيمان فحولهم إلى كائنات بغيضة ترفض كل من يخالفها.

لقد تتطور هذا الفكر وانتقل من طور إلى طور ومن قوم إلى قوم حتى غزا كل الديانات والثقافات، وبعد أن كان قاصرا على العلاقة بين الكفر والإيمان وأيضا ما عاداه من الأديان في بدايتها أصبح داخل كل دين وثقافة حيث نجد المتشدد الذي يصادر الأخرين ويقصيهم ويدعي أنه صاحب الفهم السليم وحده. وإذا كان التكفير كمصطلح ظهر بعد الإسلام فإنه موجود منذ القدم كمنهج فقد تدمرت أديان بسببه فقد استشرى في اليهود فافترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة كل فرقة تكفر أختها واستشرى في النصارى فافترقت على اثنين وسبعين فرقة يكفر بعضها بعضا. ثم كفرت اليهود النصارى وكفر النصارى اليهود يقول تعالى: (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ

قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (البقرة:١١٣) يقول السعدي: وذلك أنه بلغ بأهل الكتاب الهوى والحسد، إلى أن بعضهم ضلل بعضا، وكفر بعضهم بعضا، كما فعل الأميون من مشركي العرب وغيرهم. فكل فرقة تضلل الفرقة الأخرى. (١)

ثانيا: منهج القرآن في تحذير الأمة من هذا الفكر الكفري.

لقد حذرنا الله من هذا المسلك الشنيع في مواضع كثيرة نذكر من ذلك قوله تعالى: (لَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) (الروم:٣١-٣٢) يقول ابن كثير: وقوله: يحذر ربنا جل وعلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم من التفرق في الدين ومعناه ترك الدين والانصراف عنه، وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، وسائر أهل الأديان الباطلة، مما عدا أهل الإسلام (٢) يقول صاحب التحرير والتنوير: وهذه حالة ذميمة من أحوال أهل الشرك يراد تحذير المسلمين من الوقوع في مثلها فليحذروا أن يجرهم أي [٣]اختلاف إلى أن يكونوا شيعاً متعادين متفرقين

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١ (ج١ ص٦٣

(2) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ (ج٢١ ص٤٤٢).

[3](٢) تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء : ٣٠ ج٢١ ص٩٥

يلعن بعضهم بعضاً ويذيق بعضهم بأس بعض. [1] يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ (الأنعام:١٥٩) هكذا يوجه الله تعالى كلامه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم قائلا: إن أهل الفرقة والاختلاف المفضي إلى التكفير ليسوا منك ولست منهم يقول صاحب التحرير والتنوير: وكلّ تفريق لا يُكفِّر به بعض الفرق بعضاً ، ولا يفضي إلى تقاتل وفتن ، فهو تفريق نظر واستدلال وتطلّب للحقّ بقدر الطّاقة وكلّ تفريق يفضي بأصحابه إلى تكفير بعضهم بعضاً ، ومقاتلة بعضهم بعضاً في أمر الدّين ، فهو ممّا حذّر الله منه. [2] وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسلك التصادمي الهدام فقال: (...لا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ.) أي: لا تسيروا على خطا الكفار في الإقصاء فيُكَفِّرْ بعضُكم بعضًا فتَستحِلُّوا القِتالَ أو لا تَكُنْ أفعالُكم أفعالَ الكُفّارِ فيَضرِبَ بعضُكم رِقابَ بعض. وهنا لطيفة من معنى كفار فهذا تأكيد من النبي صلى الله عليه وسلم أن التكفير هو خلق كفري أصيل ومن هنا نجد الارتباط الوثيق بين مصطلح التكفير والكفر حيث أنهما متفقان في الفعل وهو التكبر والتجبر المفضي إلى إقصاء الآخر بالتكفير.

لقد علم أعداء الأمة على مر الزمان أنهم لن يستطيعوا هزيمتها في ميدان القتال فتلقفوا منهج عبد الله ابن سبأ في زرع فتنة التكفير بين أبناء الأمة

---

(٣) المرجع السابق: ج٨ ص١٩٤.

(1) تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء : ٣٠ ج٢١ ص٩٥

(2) المرجع السابق: ج٨ ص١٩٤.

خاصة في أوساط الشباب الذين لا يملكون رصيدا من العلم والتربية أو تلقوا علما مشوها وذلك عن طريق استقطابهم من خلال أجهزة مشبوهة وبمساعدة منافقي الأمة وذلك بهدف تقويض قوى الأمة والقضاء عليها من داخلها. لذا وجب على علماء الأمة وحكمائها السير على نهج سلفهم في محارة هذا الفكر البغيض واقتلاعه من جذوره. وبالتالي فإننا نجد أن ما بين الشخصية الكفرية والشخصية التكفيرية مشتركات متعددة تتلخص فيما يلي:

الأول: الفكر الإقصائي الثاني: الطبيعة العدوانية لكلا الطرفين الثالث: عدم حساب عواقب الأمر الرابع: الجمود الفكري.

المبحث الثالث: شبهات وردود.

في هذا المبحث نبحث في قضايا مهمة لابد ترسيخ المفاهيم حولها فقبل أن نخوض في تاريخ نشأة التكفير وتاريخه حيث إنه لابد من إبراز بعض الشبهات التي يثيرها بعض العلمانيين والرد عليها وقبل أن نتكلم في الشبهات لابد لنا أن نتكلم العلاقة بين الحكم بالردة والتكفير على ضوء القرآن الكريم.

أولا: الحكم بالردة.

وهو الحكم الشرعي المجمع عليه الصادر من هيئة شرعية لها حيثياتها بارتداد شخص ما أو جماعة ما عن الإسلام بموجب من الموجبات التي توقع حكم الردة على هذا الشخص أو هذه الجماعة.

وهذا أمر معمول به في كل الأديان السماوية والأرضية من قبل أهل الاختصاص بهدف الحفاظ على حدود الدين ومفاهيمه تجاه من يحاول المساس بأصول الدين المجمع عليها من جميع الأمة أو ما يسمى في المصطلح الشرعي المعلوم من الدين بالضرورة نفهم من ذلك ما يلي:

١- أن الحكم بالردة لا يصدر عن فرد مهما كان مركزه أو مكانته أو منصبه

٢- أن الهيئة التي تقوم على هذا الأمر لابد أن تتحقق فيها جميع الضوابط والشروط والآليات المترتبة على هذا الحكم مع التأكيد على توفر النزاهة ومراقبة الله في السر والعلن.

٣- البعد عن التأويل في الحكم بل لابد أن يكون لهم في كل إجراء بينة من الله وبرهان.

٤- استحضار عظمة الخالق ومراقبته في كل إجراء.

٥- عدم التورط في تكفير أحد من أهل القبلة إرضاء لصاحب سلطان أو جاه أو بناء على غرض أو هوى أو مصلحة حيث إن نصوص القرآن والسنة النبوية تؤكد على رفض تكفير المسلم وعلى واحترامه وعدم التورّط في قتله وإخراجه عنوة من عباءة الإسلام بدافع الحماسة المفرطة أو الوصاية العمياء

كما تؤكد على اعتماد أسلوب الحوار كأساس في التعامل مع المخالف حتى يثوب إلى رشده وإمامهم في ذلك القرآن العظيم الذي بغض هذه الآفة وحذر منها.

٦- عدم التذرع بالذرائع الواهية والتسرع في إصدار الحكم بالردة كما يحدث في هذه الأيام من وسائل الإعلام الهدامة المدعومة من جهات مشبوهة أو الجماعات والأفراد ذات الاتجاه المتشدد.

ثانيا التكفير: ويقصد به الحكم على شخص منتسب إلى ملة ما من قبل شخص أو جماعة من نفس الملة بالإبعاد عن هذه الملة وإقصاءه بالكلية عن طريق وصفه وصفا شرعيا بأنه أصبح على غير الملة ومن هذا التعريف يتبين لنا ما يلي:

الأول: أن التكفير وما يبني عليه من فكر وثقافة هو نوع من أنواع الاقصاء يمارس بين أبناء الملة الواحدة ويعني الحكم على المخالف بالكفر أي إبعاده وإقصاءه عن الملة وبناء عليه فكل ممارسة تتسم بالتسفيه والتخوين والحكم بالتكفير ثم تتحول إلى عنف تقوم بالأساس على إطار من الاعتقاد النظري الخاطئ بالنص الشرعي.

الثاني: أنه إذا كان العنف يبدأ من الفكرة والمعتقد، قبل أن ينتقل إلى الممارسة والسلوك خاصة إذا كان يستند في أساسه إلى عقائد إيمانية ودينية مغلوطة مبنية على سوء الفهم واتباع الهوى فإن هذا يقودنا إلى أمر خطير يدمر المجتمع حيث أنه ينتقل من مرحلة التكفير على حسب المعتقد إلى مرحلة تكفير الفكر وهو صورة من صور الحجر على الناس ومصادرة حقوقهم في التعبير عما يعتقدون حتى ولو اتبعوا القواعد الشرعية في الاجتهاد دون محاورتهم بالدليل والمنطق والبرهان. وقد نصت شريعتنا الغراء على هذا التنوع حيث أنها تعتبر الآراء المبنية على قواعد شرعية أصيلة اجتهادا وتجديدا مبنيا على التنوع، ومن هنا لابد أن نفرق بين نوعين من الفكر:

الأول: النابع من خلال الفهم السليم للمنهج الإسلامي المبني على قواعد شرعية محكمة وقام به رجال من أهل التخصص أو لهم علاقة مباشرة به فهؤلاء ينبغي أن يلقوا من الرعاية والاهتمام لا السخرية والاتهام.

الثاني: نابع من خلال الأهواء مبني على مغالطات فكرية وسوء قراءة للنص وفهم سقيم له توجهات مشبوهة مرتبطة ارتباطا وثيقا بأعداء الأمة ويخدم مخططاتها في هدمها والقضاء عليها. بعد هذا العرض نرد على شبهتين.

الشبهة الأولى: شبهة القول بأن أبو بكر أول من كفر في الأمة والرد عليها.

ونحن نطالع بعض الكتابات التي تحدثت بشأن التكفير وجدنا محاولة بعض الباحثين بخبث في نفسه ومن أجل مآرب رخيصة يريد تحقيقها لصالح جهة معينة ويدعي زورا وبهتانا أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه هو أول من سن التكفير الأمة حينما حكم بردة مانعي الزكاة وللرد على هذه الشبهة نقول وبالله التوفيق:

أولا: إنه الحكم بردة مانعي الزكاة لم يصدر من أبي بكر بشخصه فقط وإنما صدر من هيئة ضمت كبار صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم عمر وعثمان وعلي وكان حكما بالإجماع لم يختلف عليه أحد وبناء على هذا الحكم كان أمر الخليفة بقتالهم بعد أن يراجعوا في أمر ردتهم.

ثانيا: أن الخلاف بين أبي بكر وبين الصحابة لم يكن في إيقاع الحكم بالمرتدين مانعي الزكاة ولكن كان في وقت إنزال العقوبة بهم حيث كان رأي بعضهم التمهل بإنزال العقوبة حتى تتوفر القوة لقتالهم وإنزال العقوبة بهم.

الثانية: التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، وهناك فرق بين الإطلاق في الحكم فيقال من فعل كذا فهو كافر، وبين التعيين، فإطلاق القول بالتكفير لا يستلزم تكفير الشخص المعين.

الشبهة الثانية: شبهة التكفير بموجب حيث الافتراق.

علمنا أن كل تأويل لنص من القرآن الكريم أو الحديث مهما كان بعيدا لا يزج الإنسان في الكفر مادام هذا التأويل يستند إلى قواعد الاجتهاد ولا يمس ثوابت الدين، والناظر لجماعات المسلمين اليوم يجد التسرع في اطلاق حكم التكفير بذريعة حديث الافتراق وهنا تبرز إشكالية نلخصها في سؤال هل يشكِل على هذا الحديث قاعدة أصولية يستند عليها من يكفر؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد لنا من عرض الحديث يقول الرسول الله ﷺ: (افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلى إِحْدى وَسَبْعينَ فِرْقَةً، وافْتَرَقَتِ النَّصارى عَلى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتي عَلى ثَلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقَة) (١)

أولا: بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس جميعاً، فمنهم من آمن بالله تعالى وأقرّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ومنهم من لم يؤمن. وعليه نقول أن العالمين بمؤمنهم وكافرهم هم من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل من وُجِدَ في عصر رسول الله وكل من وُجِدَ فيما بعد إلى قيام الساعة ولكنه لم يستجب فهو مِن أمته صلى الله عليه وسلم وعليه نقول إن أمة أن أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قسمين:

القسم الأول: (أمة الدعوة) هم الذين لم يؤمنوا بدعوته صلى الله عليه وسلم.

القسم الثاني. (أمة الاستجابة) هم الذين استجابوا له وأقروا بنبوته.

وبناء عليه فإن المقصود بالأمة في قوله صلى الله عليه وسلم: (وتفترق أمتي) أمة الدعوة لا أمة الاستجابة، وعليه فإن المراد بالفرق التي تفترق إليها أمته

(1) صحيح أبي داود المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت عدد الأجزاء: ٧ أجزاء الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ مبرقم: ٤٥٩٦.

هذه هي الأديان الباطلة الكثيرة الخارجة عن ملَّة الإسلام، وليس المراد بها الفرق الإسلامية من معتزلة ومُرجئة وجهمية وخوارج.

يدل على ذلك أمران اثنان:

أولهما: قوله صلى الله عليه وسلم في الزيادة التي ساقها الترمذي: (كُلُّهُمْ في النَّارِ إلاَّ مِلَّةً واحِدَة)، وقد علمتَ أن الملة هي الدين، ولا يُعبَّر عنها بالفِرقة، وملَّة الإسلام تشمل كل الفرق التي تكاثرت فيها، لأن أصحاب الفرق على اختلافهم مؤمنون بوحدانية الله تعالى.

ثانيهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صدر الحديث: (افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة) ومقتضى بلاغة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكونِه حُجَّة في البيان والفصاحة أن يقابل كلمة اليهود والنصارى بكلمة المسلمين، فيقول (وسيفترق المسلمون إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة) لكنه عَدَلَ عن كلمة "المسلمين" ، وإنما قال (وستفترق أمتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة) والمراد بالأمة هنا أمة الدعوة لا أمة الاستجابة ، ومعنى (وستفترق أمتي) أي أمة الدعوة (إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة) أي إلى أديان مختلفة متناقضة شتى ، والدليل الناطق على هذا أنه قال بعد ذلك: (كلهم في النار إلا ملة واحدة) ولم يقل (إلا فرقة واحدة) كلها في النار إلا ملَّة واحدة هي ملَّة الإسلام بكل فئاتها، بكل مذاهبها، بكل أقوامها فالجامع المشترك بينها والذي يجعل لها هوية الرحمة من الله سبحانه وتعالى ويجعلها تدخل إلى بوابة الرحمة الإلهية والواسعة أنها جميعاً لَقِيَت الله عز وجل وهي تؤمن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، هذا هو المعنى الذي قصده المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلمون اليوم بكل مذاهبهم ، بكل فرقهم ، كلُّهم يستظلُّون بظلِّ الإيمان بالله ، كلهم لهم هوياتهم التي يدخلون بها غداً في رحمة الله عز وجل ، ألا وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فهذا الفَهم لكلمة الأمة في الزيادة التي ساقها

الترمذي وآخرون، ينسجم مع سياق الحديث وسِباقه، ويفتح سبيل التوافق والانسجام مع الأحاديث الكثيرة المُؤكِّدة بأن من لقي الله مؤمناً بوحدانيّته لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة ومن هنا نقول إن هذا الحديث بريء من هؤلاء الذين يستندون إليه في تكفير الخلق.

المبحث الرابع: نشأة فكر التكفير وعلاقته بالفرق الإسلامية.

أولا: نشأة فكر التكفير.

أغلب الباحثين اليوم، بمن في ذلك دعاة التقريب والمشاركين في مؤتمراتهم يؤكدون ربط ظهور «بدعة التكفير» بمقولات «الخوارج» لأنّهم أول من قال به ولم يكن معروفا قبلهم وهم أول من أخرجوا غيرهم من الملة. حيث أننا لم نجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد أبي بكر وعمر وعثمان أحد يكفر أحدا. ولله در الخليفة علي ابن أبي طالب حينما وقف ضد هذا الفكر الدخيل وتصدى له بنفسه وقاتل الخوارج دون أن يكفرهم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَالْخَوَارِجُ الْمَارِقُونَ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِتَالِهِمْ قَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَاتَّفَقَ عَلَى قِتَالِهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَلَمْ يُكَفِّرْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ الصَّحَابَةِ، بَلْ جَعَلُوهُمْ مُسْلِمِينَ مَعَ قِتَالِهِمْ، وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ عَلِيٌّ حَتَّى: سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَاتَلَهُمْ لِدَفْعِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، لَا لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ. وَلِهَذَا لَمْ يَسْبِ حَرِيمَهُمْ وَلَمْ يَغْنَمْ أَمْوَالَهُمْ. (١) ولقد أصر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – على عدم تكفير الخوارج بالرغم مما ناله من أذاهم ما ناله، من الخروج عليه وقتاله وتكفيرهم إياه، وفي آخر الأمر قتلهم له – رضي الله تعالى عنه – وهو لا يرى تكفيرهم. وهذا قمة الورع والإنصاف منه – رضي الله عنه– فلما سئل –رضي الله عنه– عنهم: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا. قيل له: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله

(1) مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م: (ج٣ ص: ٢٨٢)

إلا قليلاً!! يعني على عكس الخوارج وما عرف من كثرة عبادتهم وذكرهم لله – تعالى – قال: فماذا يكونون؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا. أو كما قال – رضي الله عنه وهذا القول طبقه عملياً علي – رضي الله تعالى عنه – ومعه الصحابة –رضي الله عنهم– فلم يعاملهم معاملة المرتدين، كما كان في زمن أبي بكر – رضي الله تعالى عنهم–؛ فلم يبدأهم بقتال ولم يجهز على جريحهم ولم، يسب نساءهم. وهذا هو الصحيح في الحكم على الخوارج، والأحاديث التي وردت فيهم من قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية[1] وقوله: (كلاب أهل النار) [2] وأمره– صلى الله عليه وسلم – بقتالهم والثناء على من قتلهم أو قتلوه فهذه النصوص لا تدل على كفرهم بأعيانهم، ولا يلزم من الأمر بالقتال أن يكونوا كفاراً، وإنما هي من نصوص الوعيد الدالة على شنيع جرمهم، والتحذير منه.

ثانيا: علاقة التكفير بالفرق الإسلامية.

نقول الفِرقُ جمع فِرقة، وهي الجزء الذي يُقتطَع من مجموعة أو شَعب أو أمة. والذي يفصل هذه الفئةَ عن مجموعها رؤيةٌ تتميز بها في مسألة من مسائل العقيدة، أما لو اختلفت هذه الفئة عن غيرها في اجتهادٍ يتعلّق بالأحكام الفقهية السلوكية، "عبادات، معاملات، عقود" فتُسمّى هذه الفئة مَذهباً. وسوف نتناول هذه الفرق وأثرها في فكر التكفير وتكفير الفكر ثم نتناول بعد ذلك العوامل التي أدت إلى زوال هذه الفرق. قلنا أن هناك نوعين من الفرق: النوع الأول: الفرق السياسية والنوع الثاني الفرق الاعتقادية سنبين ذلك فيما يلي:

أولا: الفِرَق السياسية وهما فرقتان رئيستان هما:

---

(1) صحيح مسلم برقم:١٠٦٤

(2) سنن ابن ماجه المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي عدد الأجزاء: ٢ (برقم:١٧٦).

١-الخوارج وقد سبق الكلام عنهم.

٢-الشيعة.

الشيعة: جاء في تعريف الشيعة آراء كثيرة نوجزها فيما يلي:

أنه علم بالغلبة على كل من يتولى علياً وأهل بيته. كقول الفيروز أبادي: وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصاً. [١] أو هم الذين نصروا علياً واعتقدوا إمامته نصاً، وأن خلافة من سبقه كانت ظلماً له. وأيضا هم الذين فضّلوا علياً على عثمان رضي الله عنهما. نفهم من ذلك ما يلي: أن الشيعة في الإجمال اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعاً، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة.

ثانياً: المذاهب الاعتقادية.

١-المعتزلة: ظهرت هذه الفرقة في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية وهم أصحاب واصل ابن عطاء بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري ومن أشهر آرائهم القول بخلق القرآن وقد وقف في وجههم الأمام أحمد ابن حنبل وفند كل ادعاءاتهم. [٢]

٢-المرجئة. استقر المعنى الاصطلاحي للمرجئة عند السلف على المعنى المعروف "بإرجاء الفقهاء"، وهو القول بأن: الإيمان هو التصديق أو التصديق والقول، أو الإيمان قول بلا عمل، "أي إخراج الأعمال من مسمى الإيمان"، وعليه فإن: من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء في

(1) تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م عدد الأجزاء: ٨. (ج١ ص٦٣).

(2) انظر دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية المؤلف: عبد الحميد، عرفان مكان النشر: بغداد الناشر: مطبعة الإرشاد، تاريخ النشر: ١٩٦٧ (ص:٨٣).

الإيمان من قال بهذه الأمور أو بعضها فهو مرجئ ثم أطلق الإرجاء على أصناف أخرى كالجهمية القائلين بأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكرامية القائلين بأن الإيمان هو قول اللسان فقط. (١)

٣- الجهمية إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله تعالى وأسمائه، وترجع في نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي، الذي كان له ولأتباعه في فترة من الفترات شأن وقوة في الدولة الإسلامية حيناً من الدهر، وقد عتوا واستكبروا واضطهدوا المخالفين لهم حينما تمكنوا منهم، ثم أدال الله عليهم فلقوا نفس المصير الذي حل بغيرهم على أيديهم. سنة الله في خلقه ولن تجد لسنته تبديلاً. ولقد كان هؤلاء الجهمية العقبة الكؤود في طريق العقيدة السلفية النقية وانتشارها؛ حيث صرفوا علماء السلف عن نشرها بما وضعوا أمامهم من عراقيل شغلتهم وأخذت الحيز الأكبر من أوقاتهم في رد شبهات الجهمية ومجادلاتهم لهم وخصامهم معهم، وكانت العاقبة الحسنة – ولا تزال – لأهل السنة والجماعة ولله الحمد. (٢) نقول: إن الإسلام فهو بناء كامل شامل يلبي حاجة الإنسان في كل عصر ومصر يقول: **(ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينا)** (المائدة: ٣) قال ابن كثير: هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب

(1) الفتاوى ج٧ ص٦٦٦.

(2) فرق معاصرة المؤلف: غالب بن علي العواجي الناشر: المكتبة العصرية الذهبية سنة النشر: ١٤٢٢ – ٢٠٠١ رقم الطبعة: ٤ عدد المجلدات: ٣ (ج٣ ص١١٣١)

فيه ولا خُلْف فارضوه أنتم لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه. [1] نقول أنه لما حلت فتنة التفرق وما صاحبها من تكفير حما الله دينه برجال أشداء يأتي على رأسهم الإمام الزاهد أحمد بن حنبل الإمام والإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري والإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي فقد جمعهم –مُقاومة هذا الفِكر الفلسفي الخيل القضاء عليه.

المبحث الخامس: أزمة تكفير الفكر في العصر الحديث وتداعيتها.

إن من أجل نعم الله على بني البشر هي نعمة التفكير إن لم تكن أجلها فالتفكير هو من يميز بين الإنسان والحيوان. ولقد ارتفع المنهج القرآني العظيم بهذا النعمة حتى أنه جعلها إحدى الوسائل الدلالة على الخالق سبحانه وعلى صدق النبوة والرسالة فقال تعالى:(**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) (النحل:٤٤) وجعل الفكر هو معيار رقي الإنسان وتقدمه في الحياة فالإنسان المفكر هو الإنسان الناجح في الحياة. والإنسان المؤمن هو الذي جمع بين كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور يقول تعالى: (**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) (آل عمران:١٩١)

سنبحث هذا الموضوع من خلال نقطتين

الأولى: الفكر والتفكر في ميزان القرآن.

الثانية: أزمة تكفير الفكر في العصر الحديث

أولا: الفكر والتفكر في التصور القرآني.

لقد أكرم الدين العقل حيث جعل الفكر والتفكر من أجل أنواع العبادة لأنها عبادة خصوص الخصوص يقول تعالى: (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

(1) تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٦.

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (آل عمران:١٩١) هنا في هذه الآيات البينات حقيقة تمثل أحد مقومات التصور القرآني عن هذا الكون والصلة الوثيقة بينه وبين الإنسان بفطرته النقية وعقله الواعي والتفاهم الداخلي الوثيق مع فطرة هذا الكون المسبح لله رب العالمين كما أنها تظهر لنا هذه العلاقة الوثيقة الرصينة بين الدين والعقل حيث يمنحنا هذا التمازج والانصهار بينهما نتيجة باهرة لو تمعنت فيها الخلائق ما وجد كافر على ظهر الأرض.

يقول صاحب الظلال: إن هذا الكون بذاته كتاب مفتوح، يحمل بذاته دلائل الإيمان وآياته؛ ويشي وراءه من يد تدبره بحكمة؛ ويوحي بأن وراء هذه الحياة الدنيا آخرة، وحسابا وجزاء.. إنما يدرك هذه الدلائل، ويقرأ هذه الآيات، ويرى هذه الحكمة، ويسمع هذه الإيحاءات "أولو الألباب" من الناس أصحاب الفكر الحي الذين لا يمرون بهذا الكتاب المفتوح، وبهذه الآيات الباهرة مغمضي الأعين غير واعين. (١)

واستجابة الله لأولي الألباب الذين توجهوا إليه سبحانه بدعاء خاشع منيب، وهم يتدبرون كتاب الكون المفتوح، ويتأملون في كتاب الله المنطوق بما فيه من الآيات، وما يوحي به من الغايات.. استجابته لها مدلولاتها حيث إنها استجابة توجيهية إلى العمل والجهاد والتضحية والصبر، والنهوض بتكاليف هذا الإيمان، الذي ثابوا به من جولتهم الخاشعة في كتاب الكون المفتوح.

إن في هذه الصورة قران بين توجه القلب إلى ذكر الله وعبادته: قياما وقعودا وعلى جنوبهم في كل أحوالهم وبين عبادة التفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار فيوحي بهذا الجمع بين الحركتين بعدة حقائق هامة.

(1) تفسير في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب الناشر: دار الشروق للنشر؛ دار الأصول العلمية سنة٢٠١٩ (ج٢ ص:٢٧).

ومن هنا تتشكل التصورات وينشأ الفكر الذي تظهر آثاره النفس والسلوك فيصبغ جمع أنشطة الإنسان في جميع أعماله ومن هنا تبرز عدة حقائق أهمها:

الحقيقة الأولى: أن التفكر في خلق الله، والتدبر في كتاب الكون المفتوح، هو عين العبادة لله وهو اللبنة الصالحة لبناء فكري سليم.

والحقيقة الثانية: أن آيات الله في الكون، لا تتجلى على حقيقتها، إلا للقلوب الذاكرة العابدة فهؤلاء الذين هم الذين تتفتح لبصائرهم حقائق ابداع الخالق في الكون وهم الجديرون بعطاء الله أما هؤلاء الذين نكروا وعاندوا وتكبروا فلن يحصدوا إلا تعلقا أجوفا بالمادة.

القاعدة الثالثة: أن الفكر الإنساني السليم هو كل جهد عقلي توافق مع الفطرة النقية وتلائم مع النفسية السوية وانسجم مع العقل السليم واتسق مع طبعه المستقيم وارتقى بالسلوك وساهم في تقدم الإنسان ورقيه وساعده في أداء المهمة التي من أجلها خلق وهي خلافة الله في أرضه.

وحينما نقول كل جهد عقلي فنحن لا نقصر ذلك على العلوم الشرعية فحسب وإنما نقصد كل علوم الدين والدنيا.

القاعدة الرابعة: معروف أن الدين رسالة سماوية بلغها رسول مرسل من عند الله سبحانه وهذه الرسالة لا تقبل التحريف سواء كان بالزيادة أو النقصان ففي هذا التحريف فتنة وفساد كبير وعلماء الدين يمثلون الامتداد الطبيعي لما كان عليه الأنبياء والمرسلين فقد روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (العلماء ورثة الأنبياء) [1] وذلك لأن مهمة

(1) صحيح الجامع الصغير وزياداته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد الأجزاء: ٢الصفحة أو الرقم: ٦٢٩٧.

العلماء هي المحافظة على الرسالة السماوية صافية والفصل بينهما وبين كلام البشر. ومعروف أيضا أن الفكر هو نتاج بشري قد يحتمل الصواب والخطأ لذا كان من المهم جدا أن يفصل بين النص المقدس الذي مصدره الرسالة السماوية وبين الفكر البشري الذي يتقلب ويدور مع النفس البشرية حيث دارت.

القاعدة الخامسة: إن الفكر البشري الأصيل لابد أن يكون تابعا للنص منبثقا عن الفهم الصحيح لهذا النص حتى يكون صالحا لإدارة الحياة وأن عين الفساد أن يتحكم الفكر البشري في النصوص الشرعية ويفسرها وفق بشريته بأهوائها وقصورها.

القاعدة السادسة: إن أي فكر يستهدف الدين ونصوصه وأحكامه بالتفسير دون الرجوع إلى أهل الاختصاص هو أمر غير مقبول ويترتب عليه فساد عظيم يقول تعالى: **(فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)** (النحل:٤٣) فهذه الآية تدل على وجوب الرجوع إلى أهل العلم فيما لا يعلم.

القاعدة السادسة: أن الولاء لمن يحارب الأمة في دينها أو في فكرها وثقافتها بأي نوع سواء كان هذا الولاء بالفكر أو بمساعدتهم في عدوانهم هو من النفاق ومن الظلم البين وقد حكم القرآن على الذين يتولونهم بأنهم هم الظالمون.. وهذا تهديد رهيب يجزع منه المؤمن، ويتقي أن يدخل في مدلوله المخيف.

القاعدة السابعة: ليس هنالك من مانع أبد من أن يظل الاختلاف الفكري بين البشر في نطاقه الفكري فقط ويكون على أساس التنوع طالما أنه بعيد عن المعتقدات.

النقطة الثانية: تكفير الفكر في العصر الحديث.

إن الناظر لمجريات الأحداث في أيامنا هذه يلحظ أن هناك أزمة يعيشها الفكر الإسلامي وأن لهذه الأزمة أسباب أدت إليها.... هذه الأزمة تتمثل في: التيه

والتشتت الفكري الذي أصاب العقل الإسلامي وأضعف جاذبيته وفتت قوته وحد من قدرته على الإنتاج والمساهمة في صياغة الفكر البشري. والمقصود بالتيه هو حالة الاغتراب التي يعيشها العقل المسلم بسبب جهله بهويته وبعدة عنها فقد تكالبت على العقل المسلم موجات من التجهيل والتشويش لم تحدث في أي في أي عصر من العصور فأما التجهيل فيتمثل في:

١-غول الأمية الذي يجتاح معظم بلاد العالم الإسلامي التي يتجاوز الخمسين بالمائة أحينا.

٢-التعليم العلماني البعيد كل البعد عن الدين والهوية يتمثل ذلك فيما يلي:

١- اعتبار مادة الدين مادة غير أساسية في معظم العالم الإسلامي وإذا اعتبرت قدمت مهترئة لا تسمن لا تغني من جوع وهذا اتجاه خبيث يهدف إلى ما يلي:

أولا: إلى خلع قداسة الدين من القلوب.

ثانيا: فصل شباب الأمة عن التاريخ الحقيقي لأمته وتقديم تاريخ مشوه مصنوع بأيدي أعدائنا.

٣-تقديم المواد الدراسية بكل أنواعها بشكل مبتور غير قادر على بناء فكرى سليم.

٤-إلتقاط كل من ينبغ من العلماء المسلمين وتسهيل هجرته للغرب ليكون خادما لنهضتهم.

٥-ضعف التعليم الديني كما ونوعا ومنهجا.

٦- التضييق على أهل العلم من الدعاة والمصلحين واتهامهم بالتطرف في بعض البلدان.

٧- التكفير المعلب حيث يتم تسخير الأجهزة الدينية الرسمية في الحكم على المخالف السياسي بالتطرف والخروج وهذه كارثة كبرى حيث يحل التكفير محل الحوار.

أما التشتت فالمقصود به حالة الفرقة والتمزق التي يعاني منها العقل المسلم بفعل تعدد الخطاب المذهبي المسيطر على ساحة الفكر الإسلامي في العصر الحديث يتمثل ذلك فيما يلي:

أولا: من العروف أنه لم يبق من الفرق الإسلامية إلا أهل السنة وهم يشكلون أغلبية المسلمين على هذا الكوكب يليهم الشيعة ومركزهم إيران وما حولها وهم يمثلون عددا لا بأس به ومع انتشار وسائل الإعلام والتوسع في الإعلام الفضائي بالإضافة إلى وسائل التواصل الاجتماعي وتصدر الخطاب التصادمي التكفيري بين أصحاب المذهبين مع أن الدين يسع الجميع كل هذا أدى إلى المزيد من التشتت في العقل المسلم.

ثانيا: الانقسام المستشري بين مكونات أهل السنة على الصعيد المذهبي والفكري.

فعلى على سبيل الفكر نجد الصراع بين الجماعات. وعلى السبيل المذهبي هناك المذاهب الفقهية الأربعة هذا إلى جانب المذهب الزيدي الذي يتركز أهله بكثرة في بلاد اليمن والمذهب الإباضي الموجود في سلطنة عمان وبعض مناطق الجزائر ومناطق متفرقة من العالم الإسلامي وهم في مجملهم قريبين من أهل السنة بل يعدون من أهل السنة مع احتفاظ كل مذهب بخصوصيته وكلها اختلافات فرعية تحكمها القاعدة التي أطلقها الإمام لنتفق فيما اتفقنا فيه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه نخرج من هذا العرض بما يلي: أن تكفير الفكر في هذا العصر لم يكن أبدا مبعثه عقديا وإنما الباعث الأول له هو الخلاف السياسي لا أكثر ولا أقل، وأن هذا الخلاف هو خلاف في معظمه مدبر تم تدبيره في غرف أعداء الأمة في الداخل بتعليمات خارجية وهو جزء من مؤامرة كبرى على الأمة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات له الشكر والثناء الحسن أن وفقنا على إتمام هذا العمل ولا يسعني إلا أن أقول: **(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم)** (البقرة: ١٢٧) فبعد هذا الجهد المتواضع أتم الله علي النعمة بالانتهاء من هذا البحث الذي هو بعنوان: فكر التكفير وتكفير الفكر في ميزان القرآن وقد بحثت فيه من خلال عدة محار تتمثل فيما يلي:

المحور الأول: عن التكفير وماهيته وحديث القرآن الكريم عنه.

المحور الثاني: العلاقة بين الكفر والتكفير.

المحور الثالث: تاريخ التكفير والآثار المترتبة عليه على ضوء القرآن الكريم.

المحور الرابع: الفرق الإسلامية ومسألة التكفير والآثار التي ترتبت على ذلك.

المحور الخامس: تكفير الفكر في ميزان القرآن الكريم.

النتائج:

أولا: أن القرآن الكريم قد حدد هذا المرض العضال ووضع له الدواء الناجع.

ثانيا: أن ظاهرة التكفير في أصلها منهج إقصائي شيطاني كفري. مفهوم

ثالثا: أن أول من وقع في مسألة التكفير هم الخوارج وكان بناء على خلاف سياسي.

رابعا: أن التكفير موجود في كل الأديان وغير قاصر على الإسلام

خامسا: أن التكفير في الإسلام كان مبعثه الموقف السياسي وليس الديني.

سادسا: أن التكفير على مر العصور هو من صناعة أعداء الأمة بداية من عبد الله ابن سبأ وانتهاء بما يحاق في أروقة أعداء الإسلام في الشرق والغرب

التوصيات: أوصي إخواني الباحثين بتوسيع دائرة البحث في هذا الموضوع بهدف: أولا:

توضيح شمولية المنهج القرآني لكل مناحي الحياة فكرا وثقافة وتطبيقا.

ثانيا: توضيح قدرة المنهج القرآني على مناقشة كل المشاكل التي تعاني منها البشرية على وجه العموم والأمة الإسلامية على وجه الخصوص.

رابعا: قدرة المنهج القرآني على التصدي لكل ما يواجه المسلم من مشاكل وتربيته وثرائه وتثقيفه وجعله قادرًا على الرد على الشبهات.

الخامس: التأكيد على أن المنهج القرآني صالح لإدارة الحياة في كل مناحيها في كل زمان ومكان. وأخيرا أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث وأن ارتقي بهذا العمل وأن يجعل منه اسهاما في خدمة كتابه العزيز إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرحيم جمعه سليمان

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

أهم المصادر والمراجع:

١-بحث دور المربي ورجل الإعلام، والمرشد الديني، في الوقاية من الجريمة والانحراف، مجموعة بحوث دور المواطن في الوقاية من الجريمة والانحراف الناشر: المركز العربي للبحوث والدراسات الأمنية.

٢-التعريفات للجرجاني المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٣-تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء : ٣٠.

٤-تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١

٥-تفسير الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا

٦-تفسير في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب الناشر: دار الشروق للنشر؛ دار الأصول العلمية سنة٢٠١٩

٧-تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين

شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

٨–تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء: ٤

٩–تفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.

١٠–تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م عدد الأجزاء: ٨.

١١–دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية المؤلف: عبد الحميد، عرفان مكان النشر: بغداد

الناشر: مطبعة الإرشاد، تاريخ النشر: ١٩٦٧.

١٢–صحيح أبي داود المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت عدد الأجزاء: ٧ أجزاء الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢

١٣–فتح الباري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

١٤–فرق معاصرة المؤلف: غالب بن علي العواجي الناشر: المكتبة العصرية الذهبية سنة النشر: ١٤٢٢ – ٢٠٠١ رقم الطبعة: ٤ عدد المجلدات: ٣

١٥-القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م عدد الأجزاء:١

١٦-لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥

١٧-مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

١٨-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: ٥

١٩-المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

References :

1-bhath dawr almurabiy warajul al'iielami, walmurshid aldiyni, fi alwiqayat min aljarimat walainhirafi, majmueat buhuth dawr almuatin fi alwiqayat min aljarimat walainhiraf alnaashir: almarkaz alearabia lilbuhuth waldirasat al'amniati.

2-altaerifat liljirjanii almualafi: ealiin bin muhamad bin ealiin alzayn alsharif aljirjanii (almutawafaa: 816hi) almuhaqiqi: dabtuh wasahahah jamaeat min aleulama' bi'iishraf alnaashir alnaashir: dar alkutub aleilmiat bayrut -lubnan altabeata: al'uwlaa 1403h -1983m

3-tafsir altahrir waltanwir <<tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid>> almualafi: muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnusii (almutawafaa : 1393hi) alnaashir: aldaar altuwnisiat lilnashr - tunis sanat alnashri: 1984 ha eadad al'ajza' : 30.

4-tafsir taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanan almualafi: eabd alrahman bin nasir bin eabd allah alsaedi (almutawafaa: 1376hi) almuhaqiq: eabd alrahman bin maeala alllwayahiqq alnaashir: muasasat alrisalat altabeata: al'uwlaa 1420h -2000 m eadad al'ajza'i: 1

5-tafsir aljamie li'ahkam alquran almualafu: 'abu eabd allah muhamad bin 'ahmad bin 'abi bakr bin farah al'ansarii alkhazrijii shams aldiyn alqurtibii (almutawafaa: 671hi) tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish alnaashir: dar alkutub almisriat - alqahirat altabeatu: althaaniatu, 1384h - 1964 m eadad al'ajza'i: 20 juz'an

6-tafsir fi zilal alquran almualafi: sayid qutb alnaashir: dar alshuruq lilnashri; dar al'usul aleilmiat sinatu2019

7-tafsir alquran aleazim (abin kathir) almualafu: 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar bin kathir alqurashii albasriu thuma aldimashqiu (almutawafaa: 774hi) almuhaqaqa: muhamad husayn shams aldiyn alnaashir: dar alkutub aleilmiati, manshurat muhamad eali bydun - bayrut altabeata: al'uwlaa - 1419 hu

8-tafsir alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzil almualafi: 'abu alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmada, alzamakhashari jar allah (almutawafaa: 538hi) alnaashir: dar alkitaab alearabii - bayrut altabeata: althaalithat - 1407 ha eadad al'ajza'i: 4

9-tafsir alwasit lilquran alkarim almualafi: muhamad sayid tantawi alnaashir: dar nahdat misr liltibaeat walnashr waltawzie, alfajaalat - alqahirat altabeatu: al'uwlaa.

10-tahadhib allughat almualafi: muhamad bin 'ahmad bin al'azharii alharawi, 'abu mansur (almutawafaa: 370hi) almuhaqaqi: muhamad eawad mureib alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut altabeatu: al'uwlaa, 2001m eadad al'ajza'i: 8.

11-dirasat fi alfiraq waleaqayid al'iislamiat almualafi: eabd alhamidi, eirfan makan alnashra: baghdad alnaashir: matbaeat al'iirshadi, tarikh alnashri: 1967.

12-sahih 'abi dawud almualafu: 'abu eabd alrahman muhamad nasir aldiyn, bin alhaji nuh bin najati bin adim, al'ushqudri al'albaniu (almutawafaa: 1420hi) alnaashir: muasasat ghras lilnashr waltawziei, alkuayt eadad al'ajza'i: 7 'ajza' altabeati: al'uwlaa, 1423 hi - 2002

13-fath albari almualafa: 'ahmad bin ealiin bin hajar 'abu alfadl aleasqalaniu alshaafieiu alnaashir: dar almaerifat - bayrut, 1379 raqm kutubih wa'abwabih wa'ahadithihi: muhamad fuad eabd albaqi qam bi'iikhrajih wasahhih wa'ashraf ealaa tabeihi: muhibu aldiyn alkhatibi.

14-firaq mueasarat almualafi: ghalib bin ealii aleawaji alnaashiru: almaktabat aleasriat aldhahabiat sanat alnashri: 1422 - 2001 raqm altabeati: 4 eadad almujaladati: 3

15-alqamus almuhiti, almualafi: majd aldiyn 'abu tahir muhamad bin yaequb alfayruzabadaa (almutawafaa: 817hi) tahqiqu: maktab tahqiq alturath fi muasasat alrisalat bi'iishrafi: muhamad naeim alerqsusy alnaashir: muasasat alrisalat liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut - lubnan altabeati: althaaminati, 1426 hi - 2005 m eadad al'ajza'i:1

16-lisan alearab almualafu: muhamad bin makram bin ealaa ،'abu alfadali, jamal aldiyn aibn manzur al'ansari alruwayfei al'iifriqaa (almutawafaa: 711hi) alnaashir: dar sadir - bayrut altabeata: althaalithat - 1414 ha eadad al'ajza'i: 15

17-majmue alfatawaa almualafi: taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin taymiat alharaani (almutawafaa: 728hi) almuhaqiq: eabd alrahman bin muhamad bin qasim alnaashir: majmae almalik fahd litibaeat almushaf alsharifi, almadinat alnabawiati, almamlakat alearabiat alsueudiat eam alnashri: 1416h/1995m

18-almusnad alsahih almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allah salaa allah ealayh wasalam almualafa: muslim bin alhajaaj 'abu alhasan alqushayri alnaysaburi (almutawafaa: 261hi) almuhaqaqa: muhamad fuad

eabd albaqi alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut eadad al'ajza'i: 5

19-almuejam alwasiti, almualafi: majmae allughat alearabiat bialqahira ('iibrahim mustafaa / 'ahmad alzayaat / hamid eabd alqadir / muhamad alnajar) alnaashir: dar aldaewati.